العلاقات السياسية

بين

الخلافة العباسية والدولة الصفارية

للدكتور محمد بن مسفر بن حسين الزهراني
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
بكلية العلوم الاجتماعية

تمهيـــــد :

لما ولى المعتصم بالله الخلافة سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣م استعان بالأتراك فى دولته، وأخذ فى جلب أعداد كبيرة منهم، وأسند اليهم أهم المناصب العسكرية والمدنية، فقوى شأنهم وازداد نفوذهم، وحلوا محل العنصر الفارسى فى أعمال الدولة العباسية. ولم يمض وقت قصير حتى تمكن زعماء الأتراك من الاستبداد بشئون الدولة العباسية، والتسلط على الخلفاء، فضاعت هيبة الخلافة، وفقد الخليفة ما كان يتمتع به من هيبة وتقدير واحترام.

وفى عهد الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ هـ ـ ٢٣٢ هـ/٨٤٢ ـ ٨٤٦م) احتل قواد الأتراك مكانة بارزة فى الدولة حتى أن هذا الخليفة جعل القائد التركى أشناس فى سنة ٢٢٨ هـ/٨٤٣م واليا على جميع الأقاليم الممتدة من سامراء الى بلاد المغرب، كما أسند الى القائد ايتاخ حكم الولايات الشرقية من الدولة العباسية، وقاعدتها خراسان[١].

ازداد النفوذ التركى بعد وفاة الخليفة الواثق بالله، واستأثر قواد الأتراك بالسلطة وهيمنوا على الدولة وصاروا مصدر قلق واضطراب لها، وذهب عدد من خلفاء بنى العباس ضحية لنفوذهم المتزايد، فقتل الخليفة المتوكل على الله فى مؤامرة دبرها ونفذها الأتراك[٢] وتوفى الخليفة المنتصر بالله مسموما بعد ستة أشهر من توليه الخلافة[٣] وواجه الخلفاء المستعين بالله والمعتز بالله والمهتدى بالله نفس المصير.

اختل توازن الدولة العباسية نتيجة لاستفحال نفوذ الأتراك وفقدت الهدوء والاستقرار، وأصبحت مسرحا للفوضى والقلاقل والاضطرابات السياسية[٤] وأخذت العناصر التى غلبت على أمرها، وفقدت ما كانت تتمتع به من امتيازات فى العصر العباسى الأول (الفرس والعرب) تعمل على استرداد مكانتها ونفوذها فى الدولة، ونجح الفرس فى الاستقلال ببعض أقاليم الدولة العباسية فى شرق الدولة الإسلامية، وأقاموا بها دولا مستقلة عن الخلافة، ومن هذه الدول الدولة الصفارية مجال حديثنا فى هذا البحث.

(١) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٧٩

(٢) اليعقوبى ، جـ ٢ ص ٤٩٢، الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٩ ص ٢٢٢ ـ ٢٣٠

(٣) الطبرى، جـ ٩: ص ٢٥٢، الذهبى: العبر فى خبر من غبر، جـ ١ ص ٤٥٢، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦

(٤) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة ص ٢١

قيام الدولة الصفارية :

كانت ولاية سجستان[٥] تابعة للدولة الطاهرية[٦]، وكان سكانها شديدى الشكيمة مما ساعد على انتشار المذهب الخارجى بينهم، ولم يستطع الطاهريون اخضاعهم، فأصبح الخوارج مصدرا للفوضى والاضطراب فى البلاد، فتشكلت فرق من المتطوعة لحماية السكان من عبثهم، ومن بين صفوف المتطوعة ظهرت الأسرة الصفارية[٧] وتتكون هذه الأسرة من أربعة أخوه هم: يعقوب وعمرو وطاهر وعلى بنو الليث، وهم من مدينة القرنين بأقليم سجستان[٨] ويرجع الفضل فى اشتهار هذه الأسرة وقوة نفوذها الى الأخ الأكبر يعقوب بن الليث، وهو المؤسس الحقيقى للدولة الصفارية وكان يعمل فى بداية الأمر لدى أحد الصفارين (النحاسين) ثم التحق بجيش القائد صالح بن النضر الكنانى الذى تطوع لقتال الخوارج فى اقليم سجستان. ونظرا لما أبداه يعقوب الصفار من شجاعة واقدام فى قتال الخوارج، فقد أصبح من المقربين الى صالح بن النضر، وكان صالح يثق به ويعتمد عليه حتى أنه جعله فى مقام النائب عنه[٩]. ويبدو أن مقتل طاهر بن الليث الصفار على يد الخوارج[١٠] كان من الأسباب المباشرة لما أبداه يعقوب وأخواه عمرو وعلى من حماس وشجاعة واخلاص فى قتال الخوارج.

ولما توفى زعيم المتطوعة صالح بن النضر خلفه متطوع آخر أسمه درهم بن نصر[١١] وقيل درهم بن الحسين[١٢]، وفى عهد هذا القائد انتزع المتطوعة سجستان من يد الوالى الطاهرى ابراهيم بن الحسين واتخذوها قاعدة لهم[١٣] غير أن القائد درهم لم يكن فى كفاءة سلفه، وبالتالى ظهر عجزه عن القيام بأعمال القيادة، فالتف أفراد الجيش حول يعقوب الصفار،

(٥) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة بينها وبين هراة ثمانون فرسخا (ياقوت: معجم البلدان، جـ٣ ص ١٩٠)

(٦) الدولية الطاهرية: مؤسس هذه الدولة هو طاهر بن الحسن، وكان من كبار قواد الخليفة المأمون، ولعب دورا بارزا فى النزاع الذى نشب بينه وبين أخيه الأمين. وفى سنة ٢٠٥ هـ/٨٢٠م عين طاهر واليا على المشرق الاسلامى من مدينة السلام الى اقصى المشرق. الطبرى: جـ ٨ ص ٥٧٧.

(٧) الدورى: دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ، ص ١١٢

(٨) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٥٣، ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤ ص ٣٣٣

(٩) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ ٧ ص ١٨٤

(١٠) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٥٣

(١١) المسعودى: مروج الذهب، جـ ٤ ص ١١٢

(١٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٠٣، الأصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، ص ١٦٩

(١٣) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٥٣

وجعلوه قائدا لهم(١٤). ويذكر ابن خلكان(١٥) ان طاهر بن عبدالله أمير خراسان من قبل الخلافة العباسية، عندما أدرك قوة درهم بن الحسين وكثرة أتباعه من المتطوعة، احتال عليه وقبضه، ثم أرسله الى بغداد فحبس هناك، وبذلك خلا الجو ليعقوب بن الليث الصفار، فحل محل درهم فى زعامة المتطوعة، ولم يلبث أن بسط نفوذه على سجستان وفارس وخراسان وكرمان(١٦) فى فترة زمنية بسيطة.

وينفرد اليعقوبى(١٧) برواية تعطينا سببا مغايرا لظهور الأسرة الصفارية مؤداها أنه لما استفحل أمر الخوارج فى خراسان، وكادوا أن يستولوا على اقليم سجستان، استأذن يعقوب الصفار الأمير محمد بن طاهر فى الخروج لقتالهم، فأذن له، فجمع يعقوب بعض المتطوعين، وسار بهم الى سجستان، وقاتل الخوارج، ونفاهم من ذلك الاقليم، ثم سار الى كرمان ففعل كذلك، حتى طهر البلا د من الخوارج، فعظم لذلك شأنه، وكتب الخليفة المستعين بالله الى محمد ابن طاهر يأمره أن يولى يعقوب اقليم كرمان، فنفذ الأمير الطاهرى أمر الخليفة، وبالتالى أصبح يعقوب واليا من قبل الخلافة على كرمان.

أظهر يعقوب بن الليث الصفار من البداية مقدرة وكفاية فى القيادة وضبط أمور الجند، ويصف المسعودى(١٨) ذلك بقوله:

(وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك فى الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف وخلف، وحسن انقيادهم لأمره واستقامتهم على طاعته لما كان قد شملهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته).

وأخذ يعقوب على كاهله محاربة الخوارج ، ففتك بهم فتكا ذريعا وخرب كثيرا من قراهم، الأمر الذى يسر عليه مهمة بسط نفوذه فى اقليم سجستان، واقرار الأمن والنظام فيه(١٩).

(١٤) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٥٣، الأصفهانى: تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، ص ١٦٩، ابن الأثير: الكامل ، جـ ٧ ص ١٨٤ ـ ١٨٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٠٣

(١٥) وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٤٠٢

(١٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٥٣

(١٧) تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢ ص ٤٩٥

(١٨) مروج الذهب، جـ ٤ ص ١١٤

(١٩) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ١٨٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٠٣

ولما استقرت الأمور ليعقوب بن الليث فى سجستان أخذ يعمل على توسيع رقعة نفوذه على حساب الأقاليم المجاورة، وأظهر فى كل خطوة كان يقوم بها التمسك بطاعة الخلافة العباسية، وزعم أن الخليفة المستعين بالله هو الذى أمره بقتال الخوارج[٢٠] وفى سنة ٢٥٣ هـ/٨٦٧م هاجم يعقوب الصفار مدينة هراة بخراسان، وانتزعها من واليها الطاهرى محمد بن أوس الأنبارى الذى تصدى لقتاله دفاعا عن المدينة، ومن هراة زحف يعقوب الى مدينة بوشنج وضمها الى حوزته[٢١]. وكان هذا أول عمل عسكرى يقوم به يعقوب الصفار ضد الخلافة العباسية ممثلة فى الدولة الطاهرية. وبالتالى تحولت الحركة الصفارية من حركة دينية تكافح من أجل تحقيق هدف نبيل هو وضع حد لمشاكل الخوارج أعداء الخلافة العباسية الى حركة سياسية تمخضت عن قيام دولة من دويلات المشرق الإسلامى هى الدولة الصفارية[٢٢].

---

(٢٠) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ١٨٥

(٢١) ابن الأثير: الكامل، جـ ٧ ص ١٨٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٠٣، أبوالفداء المختصر فى أخبار البشر، جـ ٢ ص ٤٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ ٦ ص ٦٢١.

(٢٢) حامد غنيم : عصر الدول الاقليمية، جـ ١ ص ١٩٢

الخلافة العباسية والدولة الصفارية

قامت الدولة الصفارية كما مر بنا سابقا فى سنة ٢٥٣ هـ/٨٦٧م وفى العام نفسه بدأ احتكاك هذه الدولة الناشئة بالخلافة العباسية، وأخذت العلاقات بين الجانبين تتأرجح بين الود والعداء، وكانت تبلغ فى ودها الى حد تبادل الهدايا، والحرص على تكريم كل منهما للآخر، وتصل فى عدائها الى درجة اشتعال الحرب والقتال(٢٣). وسيظهر لنا هذا الأمر جليا من خلال استعراضنا لتطور العلاقات بين الجانبين.

لما استولى يعقوب بن الليث الصفار على مدينتى هرآة وبوشنج قبض على بعض أفراد الأسرة الطاهرية، وحملهم معه الى سجستان وظلوا فى يده حتى بعث اليه الخليفة المعتز بالله يطلب اطلاقهم، فاستقبل يعقوب رسول الخليفة وأكرمه، وأطلق الطاهريين استجابة لطلب الخليفة(٢٤). ويبدو أن هذا كان أول اتصال مباشر بين الدولة الصفارية والخلافة العباسية.

ولم يقف طموح يعقوب بن الليث الصفار عند حد الاستيلاء على سجستان وهراة وبوشنج بل تطلع الى مد نفوذه الى نواحٍ أخرى فى المشرق؛ ومن ثم كتب للخليفة المعتز بالله فى سنه ٢٥٥ هـ/٧٦٨م يسأله أن يعهد اليه بولاية كرمان. وفى نفس الوقت كتب والى فارس على بن الحسين بن قريش الى الخليفة يخطب كرمان، وكان هذا الوالى من عمال آل طاهر سابقا، وعلل مطالبته بولاية كرمان بضعف آل طاهر، وعجزهم عن ضبط الأمور فى البلاد التابعة لهم، واستدل على هذا بانتزاع يعقوب الصفار لاقليم سجستان من أيديهم. كما أخر هذا الوالى ارسال خراج اقليم فارس الى العاصمة العباسية، وذلك للضغط على الخليفة ليستجيب لمطلبه، مما أثار شكوك الخليفة فى نواياه، وبالتالى أراد أن يوقع بينه وبين يعقوب الصفار، لأن كل واحد منهما فى نظر الخليفة كان يمثل خطرا على سيادة الخلافة فى المشرق، فكتب لكل منهما بولاية كرمان يلتمس اغراء كل واحد منهما بصاحبه، حتى تنشب الحرب بينهما، الأمر الذى سيؤدى حتما الى اضعافهما، وتسهيل مهمة الخلافة فى التخلص من أطماعهما التوسعية(٢٥).

وهكذا قام القتال بين يعقوب الصفار وبين والى فارس، ونجح الأول فى الحاق الهزيمة

(٢٣) حامد غنيم: عصر الدول الاقليمية ، جـ ١ ص ٢٨٤

(٢٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٤٠٤

(٢٥) الطبرى : جـ ٩ ص ٣٨٢، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ١٩١

بجيش خصمه، واستولى على مدينة كرمان(٢٦)، وأخذ يعد العدة للزحف الى فارس لضمها الى دولته. ويذكر ابن خلكان(٢٧) أن يعقوب الصفار بعث هدية سنية الى الخليفة المعتز بالله، وسأله أن يوليه اقليم فارس، وتعهد بدفع خمسة عشر ألف ألف درهم نظير ذلك.

زحف يعقوب الصفار بجيشه من كرمان فى طريقه الى فارس، وفى الطريق اليها تلقى رسالة من على بن الحسين يخبره بأن قائد جيشه طوق بن المغلس خرج لقتاله دون أمر منه، وقال فى رسالته مخاطبا يعقوب:

«ان كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراءك، وان كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل لأنصرف»

فأجابه يعقوب بقوله أن لديه كتاباً من الخليفة، ولكنه لن يسلمه له إلا إذا دخل مدينة شيراز، وعليه أن يسلم له ولاية فارس وإلا فليستعد للحرب(٢٨). ثم دارت الحرب بين الجانبين وأسفر الصراع عن انتصار ساحق للجيش الصفارى، ودخل يعقوب مدينة شيراز، وخطب للخليفة المعتز بالله(٢٩) وكتب اليه يخبره بطاعته، وأرفق رسالته بهدية جليلة المقدار(٣٠). وبعد أن جبى يعقوب خراج فارس، واستولى على ما وجده من أموال فى بيت المال(٣١) عاد أدراجه الى سجستان، فأرسل الخليفة العباسى عماله اليها.

ويلاحظ هنا أنه كان بامكان يعقوب الصفار أن يفرض سيطرته على اقليم فارس، غير أنه تخلى عنه للخلافة إما تعبيرا عن اخلاصه وولائه كما يذكر الدكتور غنيم(٣٢) أو ـ وهذا فى نظرى هو الأرجح ـ للتفرغ لتثبيت نفوذه فى البلاد التابعة له، ويظهر هذا جليا من النص التالى:

«ولم يكن ليعقوب الصفار فى خلافة المهتدى كبير أمر، بل كان يغزو ويحارب من يليه من

(٢٦) الطبرى، جـ ٩ ص ٣٨٢ ـ ٣٨٤

(٢٧) وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٠٥

(٢٨) المصدر نفسه ، جـ ٦ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧

(٢٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤١٠

(٣٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ص ١٩٤، أبوالفداء: المختصر، جـ ٢ ص ٤٥

(٣١) الطبرى، جـ ٩ ص ٣٨٦

(٣٢) عصر الدول الاقليمية ، جـ ١ ص ٢٨٦

الملوك بسجستان وأعمالها، ويتطرف كور خراسان وما قرب من قوهستان ونواحى هراة وبوشنج وما اتصل بسجستان»[٣٣].

وفى سنة ٢٥٧ هـ/٨٧٠م سار يعقوب الصفار بجيشه الى اقليم فارس، فكتب اليه الخليفة المعتمد على الله يستنكر ذلك. ولما كانت الخلافة العباسية آنذاك فى وضع لا يسمح لها بمجابهة يعقوب، تدخل الموفق بالله أخو الخليفة، فوضع حلا لمهادنة يعقوب والتودد اليه، منتظرا الفرصة المناسبة التى تتيح له التعبير عمليا عن حقيقة موقف الخلافة، فكتب له بموافقة الخليفة على تعيينه واليا على بلخ وطخارستان وسجستان والسند[٣٤] وقرر عليه مبلغا من المال يدفعه سنويا نظير ذلك[٣٥]. فقبل يعقوب ذلك على الفور، وبهذا ظفر باعتراف الخليفة بسلطانه على البلاد التى ضمها لحوزته. ويذكر ابن خلكان[٣٦] أن يعقوب الصفار دخل فارس فعلا وجبى غلاتها، ورجع الى سجستان بثلاثين ألف ألف درهم.

وفى نفس العام ٢٥٧ هـ/٨٧٠م) استولى يعقوب الصفار على مدينة كابل، وبعث الى الخليفة يخبره بذلك، وأرفق رسالته بهدية جليلة[٣٧]، وكان ذلك ـ فيما يبدو ـ للتدليل على حسن نواياه وطاعته للخلافة.

---

(٣٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤١١

(٣٤) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٤٧، العيون والحدائق، جـ ٤ ص ٤٦

(٣٥) العيون والحدائق ، جـ ٤ ص ٤٦

(٣٦) وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٤١١

(٣٧) الطبرى : جـ ٩ ص ٤٧٦، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ص ٢٤٦، ابوالفداء: المختصر، جـ ٢ ص ٤٨

دخول يعقوب الصفار نيسابور وزوال الدولـــة الطاهريـــة

خرج أحد قواد الجيش الصفارى ويدعى عبدالله السجزى(٣٨) عن طاعة يعقوب، وأخذ ينازعه السيادة على اقليم سجستان، فلما عجز عن الوقوف فى وجه يعقوب هرب الى نيسابور، قاعدة الدولة الطاهرية، ولجأ لدى محمد بن طاهر، فبعث يعقوب الى محمد بن طاهر يطلب منه تسليم خصمه اليه، فرفض(٣٩)، فوجد يعقوب أن الفرصة قد سنحت لانتزاع اقليم خراسان من الأسرة الطاهرية، التى كانت آنذاك فى حالة من الضعف لا تحسد عليها(٤٠) ومن ثم قاد يعقوب جيشه الى نيسابور، ودخلها فى شهر شوال من عام ٢٥٩ هـ/٨٧٢م(٤١) ولم يحاول الأمير الطاهرى أن يتصدى ليعقوب لادراكه لتفوق جيشه عددا وعدة(٤١): ويروى أن محمد ابن طاهر بعث ليعقوب الصفار عندما قرب من نيسابور يستأذنه فى الخروج لاستقباله، فرفض يعقوب، وعند ذلك سير محمد عددا من كبار أفراد الأسرة الطاهرية فاستقبلوا يعقوب خارج نيسابور(٤٢) فلما دخل يعقوب نيسابور قبض على محمد بن طاهر وأفراد أسرته، وسيرهم الى سجستان(٤٣)، وعين بعض رجاله ولاة على مدن خراسان(٤٤).

ويرجع ابن الأثير(٤٥) عدم تصدى الأمير محمد بن طاهر ليعقوب الصفار الى عاملين:

أولهما : ضعف القوات الطاهرية وعدم قدرتها على الوقوف فى وجه الجيش الصفارى.

وثانيهما: أن بعض خاصة محمد بن طاهر لما رأوا أدبار أمره مالوا الى يعقوب فكاتبوه واستدعوه الى نيسابور، وفى الوقت نفسه هونوا على محمد بن طاهر أمر يعقوب وثبطوه عن

---

(٣٨) نسبة الى سجستان

(٣٩) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢

(٤٠) نفس المصدر ، جـ ٧ ص ٢٤٨

(٤١) الطبرى ، جـ ٩ ص ٥٠٧، العيون والحدائق، جـ ٤ ص ٧١

(٤٢) الطبرى، جـ ٩ ص ٥٠٧، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢

(٤٣) الطبرى ، جـ ٩ ص ٥٠٧، ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣

(٤٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ص ٢٦٣

(٤٥) الكامل ، جـ ٧ ص ٢٦٢

الاستعداد له، مما أتاح الفرصة للجيش الصفارى لدخول قاعدة اقليم خراسان دون بذل قطرة دم واحدة. وبذلك وضع يعقوب الصفار نهاية الدولة الطاهرية، وطوى صحيفة الطاهريين من الشرق بعد أن استأثروا بالحكم والنفوذ فيه منذ عهد الخليفة المأمون(٤٦).

ولكى يبرر يعقوب الصفار فعله فى ضم خراسان الى حوزته بعث الى الخليفة العباسى يخبره أن عجز الأمير محمد بن طاهر عن ضبط أعمال خراسان الأمر الذى أدى الى انتشار الخوارج وأعداء الخلافة بها، دفع أهل خراسان الى الكتابة اليه طلبا لمعونته(٤٧) فاستجاب لهم، ودخل خراسان لاقرار الأمن والنظام بها. ويذكر الطبرى(٤٨) أن يعقوب بعث مع رسله رأسا لأحد زعماء الخوارج يدعى عبدالرحمن، فقال الرسل للخليفة:

«هذا رأس عدو الله عبدالرحمن الخارجى بهراة، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة قتله يعقوب بن الليث».

وبالرغم من هذه التبريرات التى أوردها يعقوب لاقناع الخليفة باخلاصه ومناوئته لأعداء الخلافة أملا فى أن يوافق الخليفة على ضم خراسان اليه ليكسب حكمه لها صفة شرعية، إلا أن تصرفه هذا واسقاطه للأسرة الطاهرية التى عرفت بولائها الشديد للخلافة العباسية، أثار استياء الخليفة المعتمد على الله، واعتبره تحديا سافرا للخلافة، وكتب اليه يأمره بأن يكتفى بما أسند اليه من أعمال سنة ٢٥٧ هـ/٨٧٠ م وإلا فهو خارج عن الطاعة(٤٩) وكانت الخلافة العباسية تمر آنذاك بصحوة مؤقتة حيث أعاد لها الموفق بالله قدرا كبيرا من هيبتها واحترامها، ومن هذا المنطلق كانت تصر على أشعار ولاة الأقاليم بأنهم يخضعون لها خضوعا مباشرا، مما يحتم عليهم عدم القيام بأى عمل عسكرى إلا بعد الرجوع الى الخليفة وأخذ موافقته مسبقا، ومن هنا لم يقر الخليفة يعقوب الصفار على تصرفه، ولم يعترف بنفوذه فى خراسان، وقام بالقبض على بعض رجاله الموجودين فى العراق، وزج بهم فى السجن(٥٠).

(٤٦) محمد على حيدر: الدويلات الاسلامية فى المشرق، ص ٦١

(٤٧) الطبرى ، جـ ٩ ص ٥٠٧، ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٦٢، ابن خلدون: العبر، جـ ٥ ص ٦٥٢

(٤٨) المصدر السابق ، جـ ٩ ص ٥٠٧

(٤٩) الطبرى ، جـ ٩ ص ٥٠٧ ، ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٦٢

(٥٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ص ٢٩٠

وبطبيعة الحال لم يكترث يعقوب الصفار لموقف الخلافة العباسية منه، وأخذ يواصل ـ كعادته سابقا ـ نشاطه العسكرى الرامى الى توسيع رقعة نفوذه.

استيلاء يعقوب الصفار على اقليم فارس :

لما خرج يعقوب من فارس سنة ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م استعادت الخلافة نفوذها فى ذلك الاقليم، وعين الخليفة العباسى أحد قواده ويدعى الحارث بن سيما واليا عليه فخرج على الحارث رجل يدعى محمد بن واصل فقتله واستولى على فارس(٥١)، ثم نجح ابن واصل فى الحاق الهزيمة بالجيش العباسي الذى سيره الخليفة لقتاله(٥٢)، فلما علم يعقوب بذلك الصراع تجددت أطماعه فى أقليم فارس، فتوجه اليها بجيشه فى سنة ٢٦١ هـ/٨٧٤م وكان ابن واصل آنذاك فى الأهواز، فبلغه خبر مسير يعقوب الصفار الى فارس، فعاد اليها مسرعا، وكان الجو شديد الحرارة والطريق وعر، فأدى ذلك إلى انهاك جنوده، ووفاة بعضهم من التعب والجوع والعطش! وكان ابن واصل يخطط للوصول الى فارس بسرعة ومهاجم الجيش الصفارى مباغتة، غير أن الأمر لم يتم بهذه الصورة، إذ علم يعقوب بعودة ابن واصل وبالحالة السيئة التى كان يعانى منها أفراد جيشه، ومن ثم هاجمه والحق به هزيمة بالغة، وغنم ما كان معه من أسلحة وأموال ومؤن، ودخل شيراز قاعدة اقليم فارس، ورتب نوابا عنه لادارة شئونها(٥٣).

وفى نفس العام (٢٦١ هـ/٨٧٤م) جمع عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بأمر من الخليفة من كان ببغداد من حاج خراسان والري وطبرستان وجرجان، وقرأ عليهم خطاب الخليفة المعتمد على الله، وفيه يستنكر الخليفة استيلاء يعقوب بن الليث الصفار على مدينة نيسابور، وقبضه على أفراد الأسرة الطاهرية، ويخبرهم أنه لم يول يعقوب خراسان، وانه خارج عن طاعة الخليفة(٥٤) ويضيف ابن خلكان(٥٥) ان عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، كتب ثلاثين نسخة من خطاب الخليفة ووزعها على الحجاج، لكى ينشروا الخبر فى أنحاء أقاليم المشرق

(٥١) الطبرى : جـ ٩ ص ٥١٢، ابن الأثير: الكامل، جـ ٧ ص ٢٧٥ ابن خلدون: العبر، جـ ٥ ص ٦٥١

(٥٢) الطبرى : جـ ٩ ص ٥١٣، ابن خلدون: العبر، جـ ٥ ص ٦٥٥

(٥٣) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧، ابن خلدون: العبر جـ ٥ ص ٦٥٦

(٥٤) الطبرى: جـ ٩ ص ٥١٢، ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٨٨

(٥٥) وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٤١٢ ـ ٤١٣

الإسلامى، كذلك كتب الخليفة لبعض أعيان خراسان ممن له كلمة مسموعة، ورجال يقفون الى جانبه، وعهد الى كل واحد منهم بولاية ناحية من نواحى خراسان.

وهكذا عبر الخليفة العباسى عن موقف الخلافة من أطماع يعقوب الصفار التوسعية، ورفض أن يعترف به واليا على خراسان، اضافة الى أن الخطاب الذى قرئ على الحاج قصد منه الخليفة إظهار يعقوب حجاج المشرق الإسلامى بمظهر المتمرد الخارج عن الطاعة.

وهكذا تمكن يعقوب بالقوة العسكرية من تأسيس دولة قوية مترامية الأطراف تضم سجستان وخراسان وفارس، وأصبحت حدود دولته تناخم الأقاليم التى تحكم مباشرة من قبل الخلافة العباسية، ويبدو أن طموحات يعقوب التوسعية كانت أبعد من هذا بكثير، إذ أنه عندما علم بما قام به عبيدالله بن عبدالله بن طاهر فى بغداد من تشويه لسمعته أمام حجاج المشرق، وأن الخليفة ولى عددا من أعيان خراسان، وجعلهم نوابا عنه فيها، أخذ يعقوب يجاهر بعدائه للخلافة، ووضع خطة ترمى الى غزو العراق نفسها والاستيلاء على مدينة بغداد، ومن ثم قاد جيشه الى مدينة الأهواز باقليم خوزستان، ومن هناك كتب للخليفة يطالبه بأن يوليه رسميا جميع البلاد التى كان يحكمها آل طاهر، بالاضافة الى شرطتى سامراء وبغداد، وأن يعقد له على طبرستان وجرجان والرى وأذربيجان وقزوين وكرمان والسند وسجستان، وأن يحضر من قرئت عليهم الكتب التى كتبها عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، وينفى ما ورد بها ليزيل الأثر السئ الذى لحق به من جراء ذلك(٥٦). ولما كانت جيوش الخلافة آنذاك تتأهب لمواصلة القتال ضد صاحب الزنج(٥٧) فقد اضطر الخليفة الى الموافقة على مطالب يعقوب الصفار التعسفية اكتفاءً لشره، وبالتالى جمع حجاج المشرق، وأخبرهم برضاه عن يعقوب، وأنه ولاه أقاليم المشرق الإسلامى خراسان وسجستان وفارس وكرمان وطبرستان وجرجان وما يتبعها من بلاد، اضافة إلى شرطتى بغداد وسامراء(٥٨). كما أطلق الخليفة أتباع يعقوب الذين سبق أن قبض عليهم وزج بهم فى السجن أثر دخول يعقوب مدينة نيسابور وقبضه على أفراد الأسرة

---

(٥٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٤١٣

(٥٧) صاحب الزنج: رجل مغامر اسمه على بن محمد اراد أن يستفيد من اختلال أوضاع الدولة العباسية ليحقق لنفسه بعض المكاسب، فزعم انه من نسل الحسين بن على، ونجح فى جمع أعداد كبيرة من العمال الزنوج وأخذ يعيث فسادا فى بلاد العراق، ولم تتمكن الدولة العباسية من اخماد حركته الا بعد اربعة عشر عاما.

(٥٨) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٩٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤١٣

الطاهرية[٥٩]، واقطعه كذلك بعض الضياع السنية[٦٠] كسبا لوده .

ومع كل هذه التنازلات من الخلافة أصر يعقوب على الزحف بقواته الى بغداد بحجة مقابلة الخليفة والتشرف بالسلام عليه[٦١]، ويروى المسعودى[٦٢] أن يعقوب قال عند خروجه لقتال الخليفة العباسي:

خراسان أحويها وأعمال فارس وما أنا من ملك العراق بآيس
إذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت ورثت فصارت كالأمور الدوارس
خرجت بعون الله يمنا ونصرة وصاحب رايات الهدى غير حارس

وإذا صححت نسبة هذه الأبيات الى يعقوب الصفار، فهذا يؤكد أنه كان يخطط فعلا لحرب العباسيين، وانتزاع العراق من أيديهم، بحجة اهمال الخليفة ومن معه من قواد الأتراك للدولة وعجزهم عن محاربة صاحب الزنج.

دخل يعقوب مدينة واسط ، واتجه منها الى بغداد ، وكتب للخليفة يؤكد طاعته ورغبته فى التشرف بلقياه وخدمته[٦٣] ومع أن الخليفة المعتمد أرسل جماعة من الفقهاء والقضاة والقواد لاقناع يعقوب بالعودة الى بلده وترك الفتنة[٦٤]، غير أن يعقوب أصر على دخول بغداد؛ مما أثار شكوك الخليفة وأخيه الموفق ودفعهما الى تجهيز جيش الخلافة لقتاله. والتقى الجيشان فى شهر رجب من عام ٢٦٢ هـ/٨٧٥م فى دير العاقول[٦٥] ودارت الدائرة على الجيش الصفارى، وهزم هزيمة ساحقة. ويعطينا المؤرخون أسبابا مختلفة لانتصار جيش الخلافة، فيذكر بعضهم أن أفراد الجيش الصفارى أظهروا كراهتهم للقتال عندما رأوا الخليفة العباسي على رأس جيش الخلافة[٦٦]، وبطبيعة الحال كان لخروج الخليفة ووجوده على رأس الجيش العباسى أثره

(٥٩) الطبرى : جـ ٩ ص ٥١٦، ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٩٠
(٦٠) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٥ ص ٣٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤١٧
(٦١) الطبرى : جـ ٩ ص ٥١٦، ابن خلدون: العبر، جـ ٥ ص ٦٥٩
(٦٢) مروج الذهب ، جـ ٤ ص ١١٤
(٦٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٤١٧
(٦٤) نفس المصدر السابق جـ ٦ ص ٤١٧ ـ ٤١٨
(٦٥) دير العاقول : موضع فى العراق على بعد خمسة عشر فرسخا من بغداد (ياقوت: معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٢٠)
(٦٦) الطبرى : جـ ٩ ص ٥١٨، ابن الجوزى: المنتظم ، جـ ٦ ص ٣٣، ابن الأثير الكامل، جـ ٧ ص ٢٩١

الروحى على جنود الصفار، إذ تبين لهم أن قائدهم خارج على السلطة الشرعية، وخاصة أن أولئك الجنود لم يكونوا من المرتزقة، وانما كانوا من المتطوعين الذين قاموا ليدافعوا عن الخلافة، ويتصدوا لأعدائها، وكان يعقوب نفسه أحد المتطوعين، وكان يشيع فى جنده هذه الدعوة، فكان وجود الخليفة فى الجيش الذى يحاربه أمر ينقض دعوى يعقوب، الأمر الذى دفع كثيرا من جنود الجيش الصفارى الى الانسحاب من المعركة عندما احتدم القتال[٦٧].

ويذكر المسعودى[٦٨] سببين مباشرين أديا الى هزيمة الجيش الصفارى

أولهما : أن المعتمد أمر بتفجير النهر المعروف بالسيب على جيش الصفار ففعل ذلك مما أدى الى ارباك الجيش الصفارى، وساعد على هزيمته.

ثانيهما : أن أحد أفراد جيش الخلافة تسلل الى مؤخرة جيش يعقوب الصفار، وأشعل النار بين الأبل والخيول والبغال والحمير، وكان عدد الجمال فقط يزيد على خمسة آلاف جمل، فجفلت الدواب عند اشتعال النيران، وداهمت الجيش الصفارى وأوقعت الفوضى والاضطراب بين صفوفه، فأدى ذلك الى هزيمته.

ويعلل ابن خلكان[٦٩] هزيمة الجيش الصفارى بعدم استعداد يعقوب استعدادا كاملا للحرب، لثقته بأن الخليفة لن يجرؤ على الخروج لقتاله فأدت تلك الثقة المفرطة الى الهزيمة الساحقة التى مني بها.

ويلاحظ أن الجيش العباسى لم يتعقب الجيش الصفارى المنهزم إما خوفا من أن تكون هزيمته خديعه ومكرا[٧٠] أو للمرض الشديد الذى ألم بالموفق بالله بعد انتهاء المعركة[٧١].

وبعد اندحار جيش يعقوب الصفار، أصدر الخليفة العباسى بيانا وضح فيه موقف الخلافة من ذلك القائد، وبين فيه التنازلات التى قدمها الخليفة اكتفاء لشره، واستصلاحا له، كما يظهر من نص البيان التالي: ـ

---

(٦٧) حسن محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى، ص ٣٥٣

(٦٨) مروج الذهب ، جـ ٤ ص ١١٣

(٦٩) وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٤١٥

(٧٠) المصدر نفسه ، جـ ٦ ص ٤١٩

(٧١) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٩٢، ابن خلدون: العبر، جـ ٥ ص ٦٦٠

«ولم يزل المارق المسمى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة حتى أحدث الأحداث المنكرة، من مصيره الى صاحب خراسان وغلبته اياه عليها وتقلده الصلاة والاحداث بها ومصيره الى فارس مرة بعد مرة واستيلائه على أموالها، واقباله الى أمير المؤمنين مظهرا المسألة فى أمور أجابه أمير المؤمنين منها مالم يكن يستحقه استصلاحاً له ودفعاً بالتى هى أحسن فولاه خراسان والرى وفارس وقزوين وزنجان والشرطة بمدينة السلام، وأمر بتكنيته فى كتبه، واقطعه الضياع النفيسة، فما زاده ذلك الا طغيانا وبغيا، فأمره بالرجوع فأبى فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسط الطريق بين مدينة السلام وواسط(٧٢).

وزيادة فى النكاية بيعقوب الصفار، فقد عمد الخليفة الى تعيين القائد محمد بن واصل، واليا على اقليم فارس، غير أن يعقوب تمكن من استرداد فارس(٧٣) وزحف فى سنة ٢٦٣ هـ/٨٧٦م على رأس جيشه الى اقليم خوزستان واستولى عليه وأخرج من كان به من جنود صاحب الزنج(٧٤) ولما كانت مدينة الأهواز قاعدة خوزستان مفتاح الدخول الى العراق من جهة فارس، ولما لم تكن الخلافة متفرغة لقتال الصفار، فقد كتب الخليفة ليعقوب الصفار فى سنة ٢٦٥ هـ/٨٧٨م يستميله ويترضاه كسبا للوقت، وأخبره بموافقته على تعيينه رسميا واليا لاقليم فارس(٧٥)، غير أن يعقوب رفض هذا العرض بطريقة أسفرت عن نواياه العدائية تجاه الخلافة العباسية، إذ وصل رسول الخليفة الى يعقوب وهو فى شدة المرض، فأمر بادخاله عليه، وعند يعقوب سيف ورغيف من الخبز الجاف وبصل، فلما استمع الى رسالة الخليفة، قال للرسول:

«قل للخليفة اننى عليل، فان مت فقد استرحت منك واسترحت منى وان عوفيت فليس بينى وبينك الا هذا السيف، حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى وتعقرنى، وأعود الى هذا الخبز والبصل»(٧٦).

(٧٢) الطبرى: جـ ٩ ص ٥١٨، ابن الجوزى: المنتظم ، جـ ٥ ص ٣٣

(٧٣) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٢٩٢

(٧٤) الطبرى، جـ ٩ ص ٥٣١ ـ ٥٣٢، ابن الأثير الكامل: جـ ٧ ص ٣٠٧

(٧٥) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٣٢٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٢١

(٧٦) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦، أبوالفداء: المختصر +٨ ٢٨، ص ٥٢

العلاقات العباسية الصفارية بعد وفاة يعقوب الصفار :

لم يلبث يعقوب الصفار أن توفى أثر عودة رسول الخليفة الى العراق مباشرة، فخلفه فى الحكم أخوه عمرو بن الليث، وكان فيما يبدو أبعد نظرا من أخيه وأحسن سياسة، إذ بادر عقب اختيار الجندله الى فتح صفحة جديدة فى العلاقات مع الخلافة العباسية، فكتب للخليفة المعتمد على الله يعلن السمع والطاعة، فأصدر الخليفة أمره بتعيينه على خراسان وفارس وأصبهان وسجستان وكرمان والسند(٧٧) وشرطة بغداد وسامراء(٧٨).

بقيت العلاقة حسنة بين الدولة الصفارية والخلافة العباسية حتى سنة ٢٧١ هـ/٨٨٤م وفى هذه السنة جمع الخليفة حجاج خراسان، وأخبرهم بأنه عزل عمرو بن الليث الصفار عما كان قد قلده، ولعنه بحضرتهم، وأمر أيضا بلعن عمرو على المنابر، فلعن. كما أعلم الحجاج بأنه قلد محمد بن طاهر أعمال خراسان(٧٩) وكان محمد بن طاهر قد تخلص من أسر يعقوب الصفار فى سنة ٢٦٢ هـ/٨٧٥م أثناء المعركة التى دارت رحاها بين الجيش الصفارى والجيش العباسي، ويرجع بعض المؤرخين غضب الخليفة على عمرو بن الليث الى الأعمال التى قام بها عمرو والتى تدل على رغبته فى الاستقلال تماما عن الخلافة، ومنها أنه صك عملة ذهبية، ونقش عليها أسمه(٨٠)، فأعتبر الخليفة هذا الاجراء خروجا عن الطاعة، على اعتبار أن صك الاسم على العملة ميزة من المميزات الخاصة بالخليفة، والتى يجب أن لا يشاركه فيها أحد مهما كان شأنه. ويبدو أن السبب الحقيقى لتغير موقف الخليفة العباسى من الدولة الصفارية كان مرده الى أن الخلافة كانت قد نجحت آنذاك فى اخماد ثورة صاحب الزنج وأصبحت جيوشها على أهبة الاستعداد للتفرغ لاعادة نفوذها فى المشرق، والتخلص ممن تراه يمثل خطرا على سلطانها وفى مقدمة هؤلاء عمرو بن الليث الصفار.

لم تكتف الخلافة بعزل عمرو الصفار ولعنه، بل قامت بخطوة عملية للاحتكاك

(٧٧) الطبرى ، جـ ٩ ص ٥٤٤ ، ٥٤٥، ابن الجوزى: المنتظم ، جـ ٥ ص ٨٠، ابن الأثير: الكامل، جـ ٧ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦، القلقشندى: مآثر الانافة فى معالم الخلافة، جـ ١ ص ٢٥٩، ابوالفداء: المختصر، جـ ٢ ص ٥٢

(٧٨) ابن الأثير: الكامل، جـ ٧ ص ٣٢٦، ٣٣٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان ـ ٦ ص ٤١٩، ابن خلدون: العبر، جـ ٥ ص ٦٧١

(٧٩) الطبرى: جـ ١٠ ص ٧، ابن الأثير: الكامل، جـ ٧ ص ٤١٤

(٨٠) محمد على حيدر: الدويلات الاسلامية، ص ٧٠، الدورى: دراسات فى العصور العباسية المتأخرة، ص ١١٩

العسكرى به، فأرسلت فى نفس العام (٢٧١ هـ/٨٨٤م) جيشا لانتزاع اقليم فارس من يده، ونجح جيشها فعلا فى انجاز هذه المهمة[٨١] وفى سنة ٢٧٤ هـ/٨٨٧م توجه الموفق على رأس جيش الخلافة لحرب عمرو بن الليث الصفار الذى تمكن من استعادة اقليم فارس بعد عودة جيش الخلافة ونجح الموفق فعلا فى الحاق الهزيمة بجيش عمرو الصفار، وانتزع منه اقليم فارس، ولاحقه الى كرمان وسجستان، غير أنه لم يتمكن من الاستيلاء على هذين الاقليمين[٨٢].

ويبدو أن صلحا عقد بين الخليفة العباسى وبين عمرو بن الليث الصفار إذ يذكر الطبرى وابن الأثير[٨٣] ان الخليفة أعاد منصب شرطة بغداد الى عمرو فى شهر شوال من عام ٢٧٦ هـ/٨٨٩م وناب عنه فيها عبيدالله بن عبدالله بن طاهر[٨٤]. إلا أن هذه العلاقة الحسنة بين الجانبين لم تدم سوى بضعة أشهر، أصدر بعدها الخليفة أوامره باسقاط اسم عمرو عن الشرطة وازالته من الأعلام التى سبق أن كتب عليها[٨٥]. وفى سنة ٢٧٩ هـ/٨٩٢م توفى الخليفة المعتمد على الله وخلفه المعتضد بالله، فسارع عمرو بن الليث الى ارسال بعض الهدايا الى الخليفة الجديد، وسأله أن يوليه خراسان، فاستجاب المعتضد بالله لهذه المبادرة الطيبة من عمرو الصفار، فعقد له على خراسان، وبعث اليه ببعض الخلع[٨٦] وكان وراء سرعة استجابة الخليفة لمطلب عمرو الصفار أن والى خراسان من قبل الخلافة ويدعى رافع بن هرثمة كان قد استولى عنوة على بعض ضياع الخليفة فى الري وأصر على الاحتفاظ بها[٨٧]، فاغتاظ الخليفة من ذلك وبالتالى عزله وأسند خراسان الى عمرو الصفار كسبا لود عمرو من جهة، ونكاية فى رافع بن هرثمة من جهة ثانية.

وفى سنة ٢٨٣ هـ/٨٩٦م ورد الى الخليفة المعتضد بالله هدايا قيمة من عمرو الصفار، وكانت تلك الهدايا تشتمل على عدة أصنام استولى عليها عمرو من بعض المدن التى افتتحها

(٨١) ابن الأثير: الكامل، جـ ٧ ص ٤١٦، ابن خلدون: العبر، جـ ٥ ص ٧٠٢
(٨٢) ابن الأثير: الكامل جـ ٧ ص ٤٢٦، ابن خلدون، العبر، جـ ٥ ص ٧٠٢
(٨٣) تاريخ الطبرى، جـ ١٠ ص ٢١٦، الكامل، جـ ٧ ص ٤٣٦
(٨٤) ابن الأثير: الكامل، جـ ٧ ص ٤٣٦، ابن الجوزى؛ المنتظم جـ ٥ ص ٩٩ ـ ١٠٠
(٨٥) الطبرى: جـ ١٠ ص ١٧، ابن الجوزى: المنتظم جـ ٥ ص ٩٩ ـ ١٠٠
(٨٦) الطبرى: جـ ١٠ ص ٣٠، ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٤٥٦
(٨٧) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٤٥٧، ابن خلدون: العبر جـ ٦ ص ٧٣٠

فى بلاد الهند[٨٨]. وبطبيعة الحال قصد عمرو بارسال هذه الهدايا تأكيد اخلاصه وموالاته للخلافة. وفى نفس العام (٢٨٣ هـ/٨٩٦م) تصدى عمرو للقائد رافع بن هرثمة الخارج عن طاعة الخلافة وألحق به الهزيمة، ثم تمكن من القبض عليه وقتله، وبعث برأسه الى الخليفة المعتضد بالله، فوصل اليه فى شهر المحرم من عام ٢٨٤ هـ/٨٩٧م فأمر الخليفة بنصب الرأس ببغداد، وخلع على رسل عمرو الصفار[٨٩] وكافأ عمرو بأن ضم اليه ولاية الري[٩٠]. ويذكر بعض المؤرخين[٩١] أن عمرا عندما بعث برأس رافع بن هرثمة الى الخليفة، كتب اليه يسأله أن يوليه اقليم ماوراء النهر، فأجابه المعتضد بالله الى ذلك، وأصدر الأمر بتعيينه فى سنة ٢٨٥ هـ/٨٩٨م، ويضيف الطبرى[٩٢] بأن عهد الخليفة لعمرو قرئ فى دار الخلافة على جماعة من حجاج خراسان. وورد فى رواية أخرى أن الخليفة العباسى وعد عمرو الصفار أن يوليه اقليم ماوراء النهر وأرسل اليه بعض الهدايا فأبى عمرو أن يقبلها إلا بعد أن يفى الخليفة بوعده واحتج فى ذلك بأن اقليم ماوراء النهر كان يتبع فى السابق لأمراء آل طاهر وعند ذلك لم يجد الخليفة بداً من اسناد ولاية ذلك الاقليم إليه[٩٣].

ويبدو أن هذا التصرف من الخليفة نحو الأسرة السامانية التى عرفت باخلاصها للخلافة العباسية كان مرده الى أن الأمير اسماعيل بن احمد السامانى والى اقليم ماوراء النهر أجار أحد الخارجين على الخليفة ويدعى على بن الحسين[٩٤] فرأى الخليفة أن هذا العمل من جانب اسماعيل يعتبر عملا عدائيا، وعلى هذا الأساس اصدر امره بعزل اسماعيل، وتولية عمرو بن الليث مكانه[٩٥]. ويحتمل أيضا أن الخليفة أراد أن يضرب عمرا بقوة السامانيين النامية، فى بلاد ماوراء النهر، فيضعف كلتا القوتين السامانية والصفارية، وبهذا يتمكن من تعزيز وتوطيد نفوذ الخلافة واقرار هيبتها فى المشرق الاسلامى وقد صدق تقدير الخليفة، إذا احتدم الصراع

(٨٨) المسعودى: مروج الذهب، جـ ٤ ص ١٤٨ ـ ١٤٩

(٨٩) الطبرى : جـ ١٠ ص ٥٠ ـ ٥١، ابن الأثير: الكامل، جـ ٧ ص ٤٨٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٢٥

(٩٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ص ٤٨٦

(٩١) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٥٠٠ ـ ٥٠١، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٤٢٥

(٩٢) تاريخ الطبرى، جـ ١٠ ص ٦٧

(٩٣) وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٢٥

(٩٤) النرشخى ، تاريخ بخارى، ص ١١٧ ـ ١١٨

(٩٥) محمد على حيدر. الدويلات الاسلامية ص ١١٢

بين الجانبين، وأسفر القتال عن هزيمة الجيش الصفارى، ووقوع قائده أسيرا فى يد خصمه اسماعيل بن أحمد(٩٦).

ولما علم الخليفة المعتضد بالله بما أسفر عنه القتال، كتب للأمير اسماعيل يطلب منه ارسال عمرو الصفار اليه، وفى الوقت نفسه أسند الى الأمير السامانى ولاية جميع البلاد التى كانت فى حوزة عمرو الصفار(٩٧) وهذا يؤكد ـ بلاشك ـ ما أشرنا اليه آنفا وهو ان اسناد ولاية ماوراء النهر الى عمرو الصفار كان يهدف الى تعريض عمرو لعدو قوى يضع حدا لنفوذه وتسلطه.

وبالرغم من أن الأمير اسماعيل تلقى أوامر الخليفة القاضية بارسال عمرو الصفار اليه، الا أن اسماعيل كان كريما فى معاملته لعمرو فعرض عليه أن يختار بين المقام لديه أو ارساله الى الخليفة، فاختار عمرو أن يرسل الى الخليفة(٩٨)، وكان يتوقع أن يطلق الخليفة سراحه، ويعيده الى عمله حيث أ ن الخليفة هو الذى كان قد دفعه لقتال الدولة السامانية. ولكن ذكاء عمرو قد خانه هذه المرة، ففى شهر ربيع الآخر من سنة ٢٨٨ هـ/٩٠٠م وصل عمرو الصفار الى العراق، فادخل مدينة بغداد على جمل فالج(١٠٠) وطيف به فى شوارعها، ثم أدخل على الخليفة فوبخه على أعماله العدائية ثم أمر فزج به فى السجن، فبقى فيه حتى توفى المعتضد بالله ثم قتل(١٠١) ويذكر بعض المؤرخين(١٠٢) أنه عندما أدركت المعتضد بالله الوفاة أمر أحد خاصته بقتل عمرو الصفار، فقتله، فلما آلت الخلافة الى المكتفى بالله وكان على صلة وثيقة بعمرو الصفار أثناء إقامته بالري فى حياة والده المعتضد بالله إذ كان عمرو يبره ويغدق عليه الهدايا، فأراد المكتفى بالله أن يكافئه، فأمر بالافراج عنه، فأخبر بأنه قد قتل فأسف لمقتله.

لما وقع عمرو الصفار أسيرا فى يد الأمير السامانى اسماعيل بن أحمد سنة ٢٨٧ هـ/٩٠٠م تولى حفيده طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث مقاليد الأمور فى سجستان،

(٩٦) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١١٧ ـ ١٢١، ابن الأثير: الكامل: جـ ٧ ص ٥٠٠ ـ ٥٠٢

(٩٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٤٢٦ ـ ٤٢٧

(٩٨) النرشخى: تاريخ بخارى ، ص ١٢٢ ـ ١٢٣، ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٥٠٢، ابن الجوزى: المنتظم، جـ ٦ ص ١٨

(٩٩) الطبرى، جـ ١٠ ص ٨٣، ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٥٠٢

(١٠٠) الجمل الفالج: جمل ضخم له سنامان

(١٠١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩

(١٠٢) الطبرى، جـ ١٠ ص ٨٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠

ثم أخذ هذا الأمير يتطلع الى استعادة نفوذ أسرته فزحف فى سنة ٢٨٨ هـ/٩٠٠م الى اقليم فارس واستولى عليه بعد أن طرد عامل الخليفة العباسى منه[١٠٣] الا أنه اضطر الى الانسحاب من هذا الاقليم عندما علم بعزم اسماعيل بن احمد بالمسير الى حربه[١٠٤].

وفى سنة ٢٩٠ هـ/٩٠٢م وافق الخليفة العباسى المكتفى بالله على اسناد ولاية اقليم فارس الى طاهر بن محمد الصفارى مقابل مبلغ من المال تعهد بدفعه للخلافة[١٠٥] ويبدو أن الخليفة المكتفى بالله قصد من اسناد ولاية اقليم فارس الى طاهر بن محمد الصفار، رد بعض الجميل لأسرة عمرو الصفار الذى كان يحسن معاملته أثناء اقامته بالرى كما مر بنا.

لم يحدث ما يعكر صفو العلاقات بين الدولة الصفارية والخلافة العباسية طوال عهد الخليفة المكتفى بالله، ولما آلت الخلافة الى المقتدر بالله ثار أحد قواد الجيش الصفارى ويدعى سبك السبكرى على الأمير طاهر بن محمد وقبض عليه وعلى أخيه يعقوب، وأرسلهما الى بغداد[١٠٦] فزج بهما فى السجن[١٠٧] وربما كان ذلك ارضاءً للقائد سبك.

آلت رئاسة الأسرة الصفارية الى الليث بن على بن الليث، ونجح هذا الأمير فى الحاق الهزيمة بالقائد سبك السبكرى، وانتزع منه اقليم فارس. ولما كان الخليفة المقتدر بالله قد أقر حكم سبك لفارس مقابل مبلغ من المال فقد ساءه مهاجمة الليث لسبك، وبالتالى سير جيشا للتصدى للأمير الصفارى، وأسفر القتال عن هزيمة الجيش الصفارى، ووقوع الليث بن على فى الاسر[١٠٨]، ومن ثم سير الى بغداد فدخلها مشهراً على ظهر فيل[١٠٩].

خلف المعدل بن على بن الليث أخاه عليا فى حكم سجستان فسار اليه الأمير السامانى أحمد بن اسماعيل، وانتزع منه سجستان[١١٠]. كما تم القاء القبض على أخيه محمد بن على

(١٠٣) الطبرى، جـ ١٠ ص ٨٣، ابن الأثير: الكامل جـ ٧ ص ٥٠٩

(١٠٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٥٠٩

(١٠٥) ابن الأثير : الكامل، جـ ٧ ص ٥٢٨

(١٠٦) الطبرى ، جـ ١٠ ص ١٤١، ابن الأثير : الكامل، جـ ٨ ص ٥٤

(١٠٧) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٥٤

(١٠٨) الطبرى ، جـ ١٠ ص ١٤٣، ابن الأثير : الكامل، جـ ٨ ص ٥٦

(١٠٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٣٢

(١١٠) الطبرى : جـ ١٠ ص ١٤٥، النرشخى: تاريخ بخارى ، ص ١٢٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ٦ ص ٤٣٤

ابن الليث، وحمل الى بغداد[111] بناءً على تعليمات تلقاها الأمير السامانى من الخليفة المقتدر بالله.

مما سبق ظهر لنا أن علاقات الخلافة العباسية بالدولة الصفارية لم تكن تسير على نهج واحد، بل كانت تتشكل تبعا للظروف التى كان يمر بها الجانبان، ومع أن الخلافة العباسية كانت تهدف من البداية الى القضاء على الدولة الصفارية، إلا أنها كانت تضطر فى بعض الأحيان، وتحت وطأة ظروف معينة الى اخفاء عدائها، والتظاهر بالود تجاه الحاكم الصفارى، وتقدم له بعض الترضيات اكتفاء لشره وكسبا للوقت، ولما تحسنت ظروف الخلافة بعد القضاء على حركة صاحب الزنج، أخذ الخليفة العباسى يعبر عن موقف الخلافة تعبيرا عمليا، إذ أن الحاكم الصفارى فى نظر الخليفة واحد من المتغلبين الذين انتهزوا فرصة الظروف السياسية السيئة التى كانت تمر بها الخلافة، فأقاموا نظما سياسية خاصة بهم. ومن هذا المنطلق أخذ خلفاء بنى العباس يعملون للاطاحة بالدولة الصفارية. وكان موقف الدولة الصفارية واضحا منذ البداية، فقد انتهز يعقوب فرصة اضطراب الأحوال السياسية للدولة العباسية، وعمد عندما أنس من نفسه القوة الى التجاوز عن حد طلب الخوارج، والقضاء على مشاكلهم الى اقامة نظام سياسى خاص به، فغلب على أقاليم ايران الجنوبية وضم فارس وخراسان، وأسقط الدولة الطاهرية، الموالية للخلافة العباسبة والتى كانت تقوم بمهمة ثغرية كبيرة فى شرق الدولة الاسلامية فأثار بذلك حنق واستياء الخليفة العباسى، ورأى فى استجابة الخلافة لبعض رغباته ضعفا وعدم قدرة على الوقوف فى وجه طموحه، وبالتالى أخذ يواصل نشاطه العسكرى، الى درجة أنه تطلع الى فتح بغداد، واخضاع الخلافة لنفوذه، فاصطدم بقوة الخلافة الروحية والعسكرية، وكانت آنذاك قد بدأت تنتعش، فأدى ذلك الى سقوط الحكم الصفارى.

ونظرا لقوة نفوذ الخليفة الروحى، وطلبا لجلب رضاء الجماهير أخذ الصفارون يظهرون عند كل خطوة عسكرية يقومون بها تمسكهم بطاعة الخليفة وموالاتهم للخلافة، واستمروا لنفس السبب يذكرون اسم الخليفة فى الخطبة، ويصكونه على النقود حتى فى الأوقات التى كانت فيها العلاقات بين الجانبين مقطوعة، وكان هؤلاء الحكام يبعثون بين آن وآخر بالهدايا النفيسة للخلفاء العباسيين للتدليل على طاعتهم وحسن نواياهم، وفى نفس الوقت كان الحاكم

(١١١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٦ ص ٤٣٢

(١١٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٨ ص ٦٠ ـ ٦١

الصفارى لا يكترث بأوامر الخليفة ولا يعيرها انتباها، إذا كانت تلك الأوامر تهدف الى الحد من نشاطه العسكرى وتوسعه على حساب الأقاليم المجاورة، وبطبيعة الحال كانت النتيجة فى غير صالح الدولة الصفارية، إذ وقع عمرو الصفار فريسة لخطة سياسية وضعها الخليفة المعتضد بالله، إذ ضرب الدولة الصفارية بقوة الدولة السامانية النامية فى بلاد ماوراء النهر، إذ كان الخليفة يعرف أن الدولة السامانية أقوى بكثير من الدولة الصفارية وبهذا زج بعمرو الصفار فى قتال ضد الأمير السامانى اسماعيل بن أحمد وأسفر الصراع عن هزيمة ساحقة للجيش الصفارى، ووقع عمرو أسيرا وأرسل الى الخليفة فزج به فى السجن ثم أمر بقتله، وواصلت الخلافة خطتها الرامية الى القضاء على الدولة الصفارية، وأخذت تبعث جيوشها حتى تمكنت فى سنة ٢٩٨ هـ/٩١٠م من وضع نهاية لبقايا الأسرة الصفارية.

مصـــادر البحـــث

أ ـ كتب عربية قديمة :

* ابن الأثير ، عز الدين على بن محمد (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م)

١ ـ الكامل فى التاريخ، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م

* الأصفهانى ، حمزة بن حسن (ت ٣٦٠/٩٧١)آ.

٢ ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار الحياة، بيروت ١٩٦١م.

* ابن الجوزى، أبوالفرج عبدالرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

٣ ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن ١٣٥٧ هـ .

* ابن حزم، على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م)

٤ ـ جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م.

* ابن حوقل، محمد بن على (ت ٣٦٧ هـ/٩٧٧م)

٥ ـ صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت.

* ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٦ ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبنانى، بيروت.

* ا ن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

* الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

٨ ـ العبر فى خبر من غبر، الكويت ١٩٦١ م

* الطبرى، أبوجعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م).

٩ ـ تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٧م.

* ابوالفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)

١٠ ـ المختصر فى أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت.

* القلقشندى، ابوالعباس احمد بن على (ت ٨٢١هـ/٨ ـ ١٤م).

١١ ـ مآثر الانافة فى معالم الخلافة، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٠م.

* المؤلف المجهول

١٢ ـ العيون والحدائق فى أخبار الحقائق، مطبعة النعمان النجف الأشرف، ١٩٧٢م (العراق).

* المسعودى ، على بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧م).

١٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥م.

* النرشخى، أبوبكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م).

١٤ ـ تاريخ بخارى، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥م

* ياقوت، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)

١٥ ـ معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

* اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)

١٦ ـ تاريخ اليعقوبى، بيروت ١٩٦٠م.

ب ـ كتب عربية حديثة :

* ٥/ حامد غنيم أبوسعيد

١٧ ـ عصر الدول الاقليمية، القاهرة ١٩٧٠

* د/حسن احمد محمود، د/ احمد ابراهيم الشريف.

١٨ ـ العالم الاسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى القاهرة ١٩٦٦م.

* عبدالعزيز الدورى .

١٩ ـ دراسات فى العصور العباسية المتأخرة، بغداد ١٩٤٨م.

* محمد جمال الدين سرور

٢٠ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٦م.

* محمد على حيدر.

٢١ ـ الدويلات الاسلامية فى المشرق، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٣م.

Abstract

"The Political relations between the Abbasid Caliphate and the Saffarid state".

By. Dr. M.M.H. Al Zahrani
Assistant Propessor, Department of History

This research is a Study for the Political relations between the Abbasid Caliphate and the Saffarid state. If we book back a little we will find that the leader Yaqub ibn al- layth al Saffar was among the volunteers who were fighting against the Kharijites in the province of Sistan in the year 259/867. Soon after Yagub took charge of the volunteer army and in the space of seven years managed to conquer Khurasan, Jibal and Zinjan all of which were under the rule of the Tahirids. Then he proceeded westwards through Khuziston. At this time the caliphal army occupied with a fierce war against Sahib al- Zanj, and the Abbasid caliph attempted to induce Yaqub to turn back by recognising him as governor for Khurasan, Rayy, Fars, Oazwin and Zinjan. But Yaqub refused and continued his advance on Baghdad. Then The Caliph's brother, Muwaffaq went and against him with a great and defeated him. The Caliph wanted to make peace with Yaqub to devote his efforts to the fight against Zanj. Therefore he entered into negotiations with him, but before these were concluded Yaqub died. Muwaffag immediately concluded a treaty with his successor, Amr and appointed him as governor for Khurasan and the neighbouring territories as well as Fars.